

ورقة عمل

الحاضنة الشعبية للمقاومة الفلسطينية

أ. ماجد إبراهيم أبو دياك



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحاضنة الشعبية للمقاومة الفلسطينية

أ. ماجد إبراهيم أبو دياك

هذه ورقة عمل معدلة، قدمها أ. ماجد إبراهيم أبو دياك في مؤتمر "مستقبل المقاومة الفلسطينية في ضوء الحرب على قطاع غزة في صيف 2014"، الذي أقامه مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات في بيروت في 2014/11/27.

تمّ رفع هذه النسخة الإلكترونية على موقع الزيتونة في أيلول/ سبتمبر 2015. الآراء الواردة في هذه الورقة، لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

الحاضنة الشعبية للمقاومة الفلسطينية

أ. ماجد إبراهيم أبو دياك¹

أولاً: ما هي الحاضنة الشعبية:

الحاضنة الشعبية هي مجموعة من الفعاليات والمواقف الشعبية المساندة لقضية ما، وتأتي انعكاساً لموقف أيديولوجي أو سياسي، كما تتأثر بالانتماء إلى ثقافة مشتركة، وتتسع أو تضيق حسب الظروف السياسية. وحدود تأثيرها فلسطينياً —والذي تبخته هذه الورقة— يتمثل بتعزيز المقاومة والمساندة، وعربياً ودولياً بتفعيل الجماهير للتأثير في السياسات العربية والدولية تجاه "إسرائيل" وصولاً إلى تغييرها.

ثانياً: توفير الدعم للنضال الفلسطيني:

وتوفرت للمقاومة الفلسطينية منذ انطلاقتها الحاضنة الشعبية بالرغم من تشتت الشعب الفلسطيني في الدول العربية، وتركزت هذه الحاضنة في الأردن ولبنان. وقد قدمت الثورة الفلسطينية بزعامة حركة فتح أول شهيد لها على أرض فلسطين في 1/1/1965 وهو الشهيد أحمد موسى لتعلن في اليوم نفسه انطلاق العمليات المسلحة ضد "إسرائيل"، حيث توالى العمليات عبر النهر من الأردن، وسط تأييد شعبي فلسطيني وعربي وإلى حد ما رسمي، وصولاً إلى معركة الكرامة سنة 1968 التي شارك فيها الجيش الأردني نفسه، قبل أن يحصل الصدام بين الفدائيين والسلطة الأردنية سنة 1970 وينتهي بخروج العمل الفدائي إلى لبنان.

وقد أسهم اتجاه جانب من العمل الفدائي نحو الخارج (عمليات خطف الطائرات) وضد بعض الأنظمة العربية التي سميت بـ"الرجعية" إلى خسارة المقاومة لساحة الأردن وانتقالها للبنان. ومن هناك أسست المقاومة لنفسها قواعد قوية ونفوذاً واسعاً، حتى انتشر لدى البعض مصطلح "جمهورية الفاكاهاني" حيث كان يقيم ياسر عرفات في أحد أحياء بيروت.

ومن لبنان خاضت المقاومة صراعاً مسلحاً مع "إسرائيل"، ولكنها أيضاً تورطت في الوضع اللبناني الداخلي وفي الحرب الأهلية التي دارت فيه. ووجدت المقاومة حاضنة شعبية في المخيمات اللبنانية وكذلك تأييداً ودعمًا من القوى الوطنية اللبنانية في مواجهة القوى "الانعزالية" المارونية.

¹ كاتب وباحث فلسطيني.

ومع استمرار عمليات المقاومة، ورغبة "إسرائيل" بإيجاد منطقة عازلة في لبنان اجتاحت القوات الإسرائيلية لبنان في صيف 1982 وصولاً إلى بيروت وحصار المقاتلين الفلسطينيين في غربي المدينة، ما أدى إلى خروجهم وتشتتهم في عدة دول عربية، وهو ما أبعدهم العمل الفدائي عن الحاضنة الشعبية في لبنان.

وفي سنة 1987 انتقل مركز المقاومة إلى الداخل الفلسطيني، ما أعطاها زخماً كبيراً وحاضنة شعبية كبيرة في الداخل خصوصاً مع توافق القوى الوطنية والإسلامية الفلسطينية عليها، فضلاً عما حظيت به المقاومة من تأييد عربي وإسلامي شعبي في ظل انتفاضتي 1987 و2000 (انتفاضة الأقصى) إضافة إلى العمليات الفدائية الاستشهادية.

ونبذت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1988 ما سمي بالإرهاب واعترفت بـ"إسرائيل" سعياً إلى الاعتراف بمنظمة التحرير كمثل شرعي للشعب الفلسطيني، وهذا أوجد شرخاً كبيراً في قوى الشعب الفلسطيني. وعلى الرغم من استمرار المقاومة الشعبية، والمقاومة المسلحة ضد جيش الاحتلال والمستوطنين، إلا أن العمليات الاستشهادية في التسعينيات في عمق الكيان الإسرائيلي كانت مثار خلاف بين حماس والجهد وبين قيادة المنظمة، وأحياناً مثار خلاف داخل حركة فتح نفسها.

وأدى الانقسام السياسي والجغرافي الفلسطيني وجهود السلطة الفلسطينية في ملاحقة ومطاردة المقاومين في الضفة إلى تراجع منسوب الحاضنة الشعبية للمقاومة لعوامل عدة، أبرزها التخوف من ردة فعل السلطة على أي فعاليات تأييد للمقاومة والتحيّز التنظيمي لأفراد تنظيم فتح لصالح السلطة وبرنامجهما.

وشنت "إسرائيل" ثلاثة حروب في السنوات 2008 و2012 و2014 على قطاع غزة بحجة ملاحقة المقاومة، وأتى ذلك بمردود إيجابي على صعيد الحاضنة الشعبية في الداخل وفي الشتات الفلسطيني وعلى مستوى التأييد الشعبي عربياً ودولياً.

ويحاول هذا المبحث التركيز على الحاضنة الشعبية للمقاومة الفلسطينية في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في صيف 2014، وما هو أفقها ومستقبلها بالاستناد إلى المعطيات التي أحاطت بالحرب الأخيرة.

ثالثاً: الحاضنة الشعبية.. العدوان على غزة نموذجاً:

جاء العدوان الأخير في ظل انقسام فلسطيني وتعثر جهود المصالحة باستثناء الاتفاق الذي تمّ التوصل له في حزيران/ يونيو 2014 بين فتح وحماس لتشكيل حكومة وفاق لم تمارس دورها في غزة حتى كتابة هذه الورقة.

وقد سعت حركة حماس إلى الاستعداد مسبقاً لحرب جديدة محتملة مع العدو الإسرائيلي، وهذا ما أظهرته الحرب من خلال الأسلحة المستخدمة لمواجهة العدوان. وقد زاد ذلك من حجم الحاضنة الشعبية للمقاومة على كافة المستويات، في الوقت الذي سعت فيه السلطة الفلسطينية في الضفة لتجسيم المواجهات والمظاهرات والمسيرات المنددة بالاحتلال، ومنعها من الوصول لنقاط التماس مع العدو في الضفة.

كما جاءت الحرب في ظل ما سمي بـ"الثورة المضادة" التي أطاحت بالربيع العربي في مصر التي شكلت حاضنة رسمية وشعبية للمقاومة في ظل حكم الرئيس المصري الأسبق محمد مرسي. وهكذا فإن حجم التفاعل الفلسطيني مع المقاومة في الضفة كان كبيراً على الرغم من جهود السلطة في احتوائه، وذلك لأسباب عديدة، أهمها:

1. الحجم المخيف للمجازر التي ارتكبتها الاحتلال بقصفه للأماكن المدنية بما فيها المنازل والمدارس والمستشفيات والمساجد، الأمر الذي زاد من حدة الاحتقان الشعبي الفلسطيني. ففي بداية العدوان انطلقت مسيرات واندلعت مواجهات ونتج عنها عشرات الإصابات في عدة مناطق في الضفة أبرزها بلدة قفين قضاء طولكرم، واندلعت مواجهات مع جنود الاحتلال في ستة مواقع بمحافظة الخليل، تركزت في باب الزاوية وسط مدينة الخليل، ومخيم العروب شمال الخليل، إضافة إلى مواجهات ببلدة بيت أمر شمال المحافظة².

وفي غمرة العدوان وسقوط العديد من الضحايا الفلسطينيين، استمرت المظاهرات في الضفة لتعم مدن رام الله، والخليل، والقدس المحتلة، وبيت لحم وغيرها، تعبيراً عن الغضب لما يجري في غزة. وقالت غرفة العمليات الموحدة في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، لوكالة الأناضول، إن طواقمها نقلت نحو 50 فلسطينياً مصاباً بجراح، منهم 7 بالرصاص الحي و43 بالرصاص المطاطي، جراء تصدي قوات الاحتلال لهذه المظاهرات التي وصلت الحواجز الإسرائيلية حول هذه المدن³.

² صحيفة القدس العربي، لندن، 2014/7/10.

³ القدس العربي، 2014/7/24.

واستشهد فلسطينيان وأصيب 100 آخرون غاليبتهم بالرصاص الحي، منها 5 بحالة خطيرة والعشرات بحالات الاختناق، خلال تفريق الجيش الإسرائيلي لمسيرة حاشدة في رام الله تضامناً مع غزة، حاولت الوصول إلى مدينة القدس، بحسب شهود عيان ومصادر طبية⁴.

وشهدت أراضي 48 تظاهرات ومواجهات مع قوات الأمن والشرطة في عدة بلدات بعد ساعات من المظاهرة الكبيرة في كفر مندا والتي دعت إليها لجنة المتابعة العليا وشارك فيها الآلاف ضد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة المحاصر⁵.

ومارس فلسطينيو 48 دورهم المعروف في العمل الإغاثي لإخوانهم الفلسطينيين، فقد أطلقت بلدات الداخل الفلسطيني حملات لإغاثة قطاع غزة تحت عناوين من قبيل "لبيك يا غزة"، و"الغذاء والدواء لأهل غزة"، و"غزة تنزف.. ضمدوا جراحها". وعبرت مختلف الفعاليات والأحزاب السياسية والقوى الوطنية والإسلامية عن تضامنها مع قطاع غزة ودعمها صموده في مواجهة العدوان الإسرائيلي⁶.

وفي قطاع غزة ذاته، كان واضحاً أن هناك التحاماً بين الجماهير والمقاومة، وكان لهيمنة حماس على القطاع منذ سنة 2007 دوراً مهماً في ذلك، إذ تمكنت من تعزيز دور المجتمع المقاوم. وإضافة إلى البطولات النوعية التي أبدتها المقاومة في غزة، فقد كان لانخراط الأسر الفلسطينية فيها أثراً كبيراً في إيجاد جوٍّ مؤيد وداعم للمقاومة على الرغم من حجم الخسائر في صفوف الفلسطينيين ما بين شهيد وجريح أو تدمير كلي أو جزئي للمنازل والمؤسسات.

فلا يكذب يخلو بيت فلسطيني من مأساة نتيجة العدوان الإسرائيلي، إلا أن حجم التأييد والمساندة الشعبية للمقاومة لم يتأثر كثيراً.

وهذا ما دفع "إسرائيل" في أيام الحرب الأخيرة إلى استهداف التجمعات الفلسطينية الكبيرة في الأبراج السكنية عبر قصفها وتدميرها في محاولة لتحريض الناس للانقلاب على المقاومة، التي قبلت أخيراً بوقف إطلاق النار.

وقال المحلل السياسي طلال عوكل، إن مظهر الحرب —في أيامها الأخيرة— كان يشير إلى "حرب الأبراج السكنية"، إذ عمدت "إسرائيل" لاستهداف الأبراج السكنية "الشاهقة"، التي تؤوي آلاف المواطنين داخلها، مشيراً إلى أن الهدف الإسرائيلي من استهداف الأبراج السكنية، والمجمعات

⁴ القدس العربي، 2014/7/25.

⁵ موقع عرب 48، 2014/7/12، انظر: www.arabs48.com

⁶ موقع الجزيرة.نت، 2014/8/3، انظر: <http://www.aljazeera.net>

التجارية، وآلاف المنازل المدنية، هو الضغط على المقاومة لانتزاع وقف إطلاق نار غير مشروط، قائم على معادلة "التهدئة مقابل التهدئة". وتابع: "إسرائيل تحاول، بالتزامن مع استمرار الحراك السياسي والدبلوماسي للتوصل لوقف إطلاق نار بغزة، الضغط على المقاومة، من خلال إضعاف حاضنتها الشعبية، لقبول بأي اتفاق (تهدئة) مستقبلي لا يوفّر أي إنجاز سياسي"⁷.

ويرى هاني البسوس، أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الإسلامية أن "إسرائيل بدأت حربها على قطاع غزة بالتدريج، فكانت البداية بحرب المنازل المدنية، ومن ثم حرب المفاجآت، واليوم دخلت مرحلة حرب الأبراج السكنية". وأن الهدف الإسرائيلي "الرئيسي" من استهداف الأبراج السكنية، التي تضم في طوابقها الشاهقة أكثر من 60-100 شقة سكنية، إضعاف الحاضنة الشعبية للمقاومة وتحويلها لنقطة ضاغطة على الفصائل للقبول بوقف إطلاق نار غير مشروط، ولا يحقق أي إنجاز سياسي أو عسكري للمقاوم الفلسطيني⁸.

وذكر البسوس أن حرب "الأبراج السكنية"، عدا عن خسائرها المادية والبشرية، فإنها تضرب الجانب النفسي لدى المواطنين الغزيين، وتبث أجواء من الهلع بين سكان تلك الأبراج، خوفاً من استهدافها على غرار استهداف أبراج "الظافر"، و"المجمع الإيطالي"، وبرج "الباشا"⁹.

2. ظهرت المقاومة بمظهر المدافع عن الشعب الفلسطيني في الضفة في وجه هجمات المستوطنين بعد حرق جثة الفتى الفلسطيني محمد أبو خضير إثر خطفه من قبل ثلاثة مستوطنين قرب الخليل. وفي ظل عجز السلطة الفلسطينية المرتبطة باتفاقيات تسوية مع "إسرائيل"، فقد تقدمت قوى المقاومة وعلى الأخص حماس والجهاد الإسلامي في معركة الدفاع عن الشعب الفلسطيني، الأمر الذي أدى لتفاعل جيد مع المقاومة في الضفة والقدس وأراضي 48، وإن أدى دور السلطة في الضفة إلى تحجيم المظاهرات والمسيرات المؤيدة للمقاومة، بحكم التعاون الأمني الذي ترتبط به هذه السلطة مع "إسرائيل".

3. شراسة المقاومة الفلسطينية وقدرتها على اختراق صفوف العدو وتنفيذ عمليات ضد جنوده في خطوطهم الخلفية ما أذهل العالم. وكذلك توجيهها ضربة قوية لنظرية الأمن الصهيوني، عبر كسر عنصر المفاجأة لديه، بل ومفاجأته بعمليات وهجمات لم يكن العدو مستعداً لها. ورأت الجماهير بطولات غير مسبوقه وحرب استخدمت فيها المقاومة أسلحة لم تكن تستخدم من قبل

⁷ موقع وكالة الأناضول للأنباء، 2014/8/26، انظر: <http://www.aa.com.tr/ar>

⁸ المرجع نفسه.

⁹ المرجع نفسه.

(طائرات بدون طيار)، وتمكن صواريخها من الوصول لشمال فلسطين المحتلة، وتسببها في إغلاق مطار بن غورين لأكثر من مرة. وفي نظرة الناس عموماً وفي المنطقة، فإن القوي يحظى بالاحترام والتقدير، فضلاً عما تشكله فلسطين بالنسبة للأمة من أهمية، وكان لذلك كبير الأثر في تعاضد التفاعل الفلسطيني والعربي والإسلامي مع المقاومة.

4. وعلى الرغم من أن "إسرائيل" أعلنت أن عدوانها يهدف لاستعادة الهدوء في المناطق المحيطة بغزة، والقضاء على "قوة حماس الصاروخية وإرهابها"، وهدم الأنفاق، ونزع سلاح المقاومة، ولكن أياً من ذلك لم يتحقق لها، بل كانت له نتائج عكسية على صعيد التفاعل مع المقاومة والشعب الفلسطيني.

وقال وزير المخابرات والشؤون الاستراتيجية الإسرائيلي يوفال شتاينتز، في حديث للإذاعة الإسرائيلية العامة، بأن كل "المعارك العسكرية تشهد مفاجآت"، لكنه رأى أن "حماس حركة ضعيفة نتيجة التحولات الجيوسياسية في المنطقة، ونتيجة موقف مصر المعادي لها"، وأوضح أن "هناك علاقات سرية هامة بين تل أبيب والقاهرة بهذه الأيام"¹⁰.

ولكن المحلل السياسي للإذاعة الإسرائيلية تشيكو ميناشيه سخر من أحاديث حكومة نتنياهو حول ضعف حماس، وقال إنه يستغرب كيف تقوى حركة ضعيفة على إطلاق الصواريخ إلى تل أبيب وما بعد تل أبيب¹¹.

واعترف موقع "ديكا" القريب من الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية أن ما تسمى بعملية "الجرف الصامد" هي واحدة من أصعب الحروب التي خاضها الكيان العبري، وذلك بعد إعلان جيش الاحتلال عن مقتل 13 من جنود وحدة جولاني الخاصة على يد المقاومة الفلسطينية داخل قطاع غزة بعملية واحدة في حي الشجاعية بغزة¹².

وفي أوروبا والولايات المتحدة، اتخذت الفعاليات التضامنية —التي كان الفلسطينيون في مقدمتها— طابع فضح الممارسات الإسرائيلية، والدعوة لمحاكمة قادة الاحتلال بجرائم حرب، والمطالبة بالحماية الدولية للشعب الفلسطيني. كما شمل ذلك تأكيداً على حق الشعب الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال بالمقاومة. وقاد آلاف الفلسطينيين ومعهم المتضامنين الأجانب تظاهرات نظمت في مدن عدة، كان للفلسطينيين دور مهم فيها من خلال المؤسسات التي أنشأها هؤلاء في الغرب.

¹⁰ صحيفة المصريون، القاهرة، 11/7/2014.

¹¹ المرجع نفسه.

¹² المصريون، 22/7/2014.



وفيما يتعلق بدور فلسطينيي أوروبا بعد الحرب على غزة، فقد استعرضت نحو خمسين جمعية إغاثية وطبية يديرها فلسطينيون في مدينة روتردام الهولندية الإسهام في إغاثة غزة على صعيد أوروبا، ودعم المسجد الأقصى والقدس المحتلة في ظل الانتهاكات الإسرائيلية الخطيرة، كما انتقدوا التباطؤ في تنفيذ مقررات مؤتمر إعادة إعمار غزة الذي عقد في القاهرة بداية تشرين الأول/ أكتوبر الماضي.

وقال مدير حملة الوفاء الأوروبية أمين أبو راشد في تصريح صحفي في 27 تشرين الأول/ أكتوبر، إن المؤتمر جاء بمبادرة من الحملة بالتعاون مع تجمع الأطباء الفلسطينيين في أوروبا للتنسيق والتعاون لنصرة غزة¹³. وبين أبو راشد أن اللقاء انقسم إلى محورين، الأول هو المحور الطبي، والثاني هو الإيواء العاجل، وقد انتهى المجتمعون بالتعهد بترميم 5,000 وحدة سكنية، وتأمين إيجار 3,000 منزل لأسر متضررة، وكفالة 1,500 أسرة، وتأمين 1,500 وحدة سكنية.

وفي مدينة شيكاغو/ ألينوي الأمريكية عقد في 27-29/11/2014، المؤتمر السنوي السابع لمنظمة "أمريكيون مسلمون من أجل فلسطين"، وكان شعار المؤتمر: "تتفض عن كاهلها الركاب: غزة تعلم الدنيا الحياة". حضر المؤتمر عدة آلاف من أفراد الجالية الفلسطينية والعربية والمسلمة في الشتات. واستضاف المؤتمر عدة شخصيات فلسطينية وعربية وعالمية من المتعاطفين مع الحق الفلسطيني¹⁴.

5. تركيز المقاومة في عملياتها على الأهداف العسكرية للاحتلال، وعلى الأخص جنود الاحتلال الذين يخوضون الحرب وإيقاع خسائر كبيرة فيهم، ما أدى إلى تمتع المقاومة باحترام عربي وإسلامي ودولي.

ويقول الخبير الأمني من القدس، واصف عريقات، أن المقاوم الفلسطيني يرسل رسالة قوية إلى الإسرائيليين، وهي تخرج الجيش الذي يقتل المدنيين "فيما المقاومة تستهدف جنوده وآلياته". ويضيف عريقات أن المقاومة تسجل بذلك انتصاراً سياسياً، لأنها ستجنب الانتقادات الدولية التي كانت توجه إليها بسبب ما برعت وسائل الإعلام الإسرائيلية بتسويقه على أنه "استهداف مدنيين"، مع أنه لا يمكن في المقابل الحديث عن إخفاق تلك الدعاية¹⁵.

¹³ الجزيرة نت، 2014/10/27.

¹⁴ خليل قطاطو، فلسطينيو أمريكا: غزة تعلم الدنيا الحياة، القدس العربي، 2014/11/30.

¹⁵ وكالة فلسطين اليوم، غزة، 2014/8/6.

وهكذا، فإن:

المقاومة الفلسطينية في غزة ليست كما كانت قبل عامين. حصل تغيير جذري في أدائها، وتوجهاتها الاستراتيجية وقدراتها ومهاراتها الميدانية التكتيكية. وهذا العنصر فاجأ الإسرائيليين سواء المستوى السياسي أم المستوى العسكري. فالمستوى العسكري كان مزوداً بإضبارة سمينة من الأهداف والمعطيات التي ناقشها مع المستوى السياسي، ولكن ميدانياً جرت الأمور وتجرى بطريقة ونمط مغاير كلياً¹⁶.

رابعاً: التفاعل بعد انتهاء الحرب:

ومع انتهاء العدوان، استمرت الفعاليات الشعبية المحتفية بـ"الانتصار" الذي حققته المقاومة وتمكنها من أسر جندي إسرائيلي واحد على الأقل. وعمت مظاهر الاحتفال قطاع غزة والضفة الغربية مباشرة بعد بدء سريان وقف إطلاق النار بين المقاومة الفلسطينية و"إسرائيل"، وذلك فرحاً بما حملته بنود الاتفاق من إنجاز لأغلب مطالب الفصائل الفلسطينية¹⁷.

وشهدت المخيمات الفلسطينية في الأردن ولبنان مسيرات وإطلاق نار ومفرقات احتفاء بالتوصل لاتفاق لوقف إطلاق النار، واعتبار ذلك "انتصاراً" للمقاومة، وتأكيداً لحق الشعب الفلسطيني في تحقيق مطالبه المحقة ولا سيما رفع الحصار، ووقف سياسة القتل التي ينتهجها الاحتلال. وفي مخيم عين الحلوة، انطلقت مسيرات عفوية رفعت خلالها الأعلام الفلسطينية ورايات حماس والمقاومة¹⁸.

وفي القدس المحتلة، خرجت مظاهرة تأييد ودعم للمقاومة في حي بيت حنينا، وشعفاط، وبلدة الطور، ومخيم شعفاط ووزعت الحلويات على المواطنين، وذلك بُعيد توقيع اتفاق وقف إطلاق النار في القاهرة، وسرعان ما تحولت المظاهرة إلى مواجهة مع قوات الاحتلال، التي استخدمت القنابل الصوتية والأعيرة المطاطية، مخلفة عشرات الإصابات بين سكان مخيم شعفاط. وفي قرية العيسوية خرج المئات من الأهالي من كبار السن والشبان والأطفال بمسيرة ضخمة داخل القرية، ورفعوا الأعلام الفلسطينية وهنقوا للمقاومة، وأشادوا بصمود أهالي القطاع.

¹⁶ جوني منصور، قراءة في أداء المؤسسات السياسية والعسكرية الإسرائيلية في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة والاتجاهات المتوقعة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 4/8/2014، انظر: <http://www.alzaytouna.net/permalink/74525.html>

¹⁷ الجزيرة.نت، 26/8/2014.

¹⁸ صحيفة المستقبل، بيروت، 27/8/2014.

واندلعت مواجهات في حي واد الجوز، بعد انتشار فرقة مشاة في أحد شوارع الحي مستفزة السكان، وأقيمت القنابل الصوتية والأعيرة المطاطية داخل حارات وأزقة الحي. كما اندلعت مواجهات مماثلة في حي عين اللوزة ببلدة سلوان¹⁹.

خامساً: هل أدت حرب غزة إلى تغيير في حجم التأييد أو الحاضنة الشعبية للمقاومة؟

تقول بعض التقديرات أن حجم التعبير عن التأييد للمقاومة في العالم العربي وال الضفة لم يكن بالحجم المطلوب. وربما كان من الصعب قياس هذا الأمر، ولكن نظرة عامة تؤشر إلى أنه في الضفة الغربية، كانت قبضة السلطة في منع التظاهرات قوية تحت حجة منع الاحتكاك مع العدو، الذي حصل بالفعل وأدى لسقوط شهداء وجرحى في صفوف الفلسطينيين. فضلاً عن المظاهرات والمسيرات وكافة أشكال التفاعل في القدس وأراضي 48.

أما في غزة، فقد كان الفلسطيني ملتحمًا مع المقاومة على الأرض. وشهدت القدس مواجهات عنيفة لأنها ليست واقعة ضمن سلطة فلسطينية تضع قيوداً عليها، وكذلك مناطق 48.

ويبدو أن حجم الحاضنة الشعبية لم يكن قادراً على زحزحة مواقف بعض الدول العربية التي ظلت تعمل على منع المقاومة من قطف ثمار إنجازاتها في الحرب مع العدو الصهيوني، فلم يتمكن الوفد الفلسطيني المفاوض في المفاوضات غير المباشرة مع "إسرائيل" وبرعاية مصرية، من تثبيت فكّ الحصار بشكل كامل عن قطاع غزة، أو تحصيل مطلبتي إنشاء مطار وميناء بحري.

وعمد النظام المصري متحالفًا مع بعض الأنظمة العربية إلى الضغط على المقاومة لإنجاز اتفاق وقف إطلاق النار، مع التأكيد على فتح المعابر والسماح بتدفق المساعدات ومواد البناء، دون أن يتم الاتفاق على المطار والميناء كمطلبين للمقاومة.

ويمكن القول إنه في الضفة الغربية لم يصل حجم التفاعل إلى المستوى المطلوب. وكان أعلى منسوب للتفاعل في الخليل جنوب الضفة، على الرغم من تشديد سلطة أوسلو على المظاهرات ومحاولة منعها، مع ما يروّج عن مصالحة فلسطينية، وما أسفرت عنه من تشكيل حكومة وفاق فلسطينية.

وما تزال السلطة الفلسطينية في الضفة المحتلة ترى أن عدم قيامها بدورها في لجم مظاهرات التأييد للمقاومة ومنع الفلسطينيين من الوصول لمراكز التماس مع "إسرائيل"، فضلاً عن منع انطلاق عمليات مقاومة ضد العدو، يضر بالتزامها بالاتفاقيات الموقعة مع "إسرائيل"، بل وقد

¹⁹ صحيفة الغد، عمان، 28/8/2014.

يعرضها لمزيد من العقوبات الإسرائيلية، ويدفع الطرف الإسرائيلي إلى المزيد من التشدد معها في مفاوضات التسوية المتعثرة حتى الآن.

إلا أن الرصيد الجماهيري للمقاومة ارتفع في هذه الحرب لأن:

1. المقاومة تمكنت من ردع العدو والوصول بصواريخها إلى الشمال وإلى مطار بن غوريون، فضلاً عن العمليات خلف خطوط العدو.
2. التمكن من إيجاد مشكلة كبيرة في الاستيطان حول غزة.
3. إقلاق أمن الإسرائيليين في المدن والتجمعات الرئيسية.
4. كشف حقيقة الدول العربية التي تأمرت ضد المقاومة.
5. فضح ممارسات الإسرائيليين في الغرب، وإضعاف دعاية "إسرائيل" أنها طرف مُعتدى عليه، وإن بقيت المواقف الرسمية دون تغيير بسبب حسابات التحالف مع "إسرائيل".

سادساً: مستقبل دور الحاضنة الشعبية في حماية المقاومة:

1. أثبتت فعاليات التضامن مع المقاومة أنها ما تزال تمتلك الحاضنة الشعبية وإن بمستويات متباينة من مكان لآخر. ولكن هذه الحاضنة ما تزال غير قادرة على تشكيل حماية فلسطينية أو عربية، بسبب الظروف والأجواء السائدة عربياً.
2. يبدو أن التأثير الحقيقي للحاضنة الشعبية لا يمكن أن يستكمل إلا من خلال تغيير حقيقي في البيئة السياسية الرسمية في الضفة وفي الدول العربية، ينعكس بدوره على الدول الغربية وغيرها.
3. أظهرت المقاومة قوة غير مسبوقة في مواجهة الاحتلال، مما أدى إلى إحباط مخططات إخضاعها وإضعافها، ولكنها لم تتمكن من ترجمة إنجازها العسكري إلى انتصار سياسي.
4. يبقى تحدي إعادة إعمار قطاع غزة وإصلاح ما هدمته آلة الحرب الإسرائيلية قائماً للحفاظ على الحاضنة في قطاع غزة، فيما ما تزال تتمتع المقاومة بسند عربي وشعبي كبير في دول الغرب، قد يشكل غطاء لها في النجاح في ملف الإعمار، وتجاوز محاولات إضعافها سياسياً عبر تعطيل ملف إعادة الإعمار.
5. ويبدو أن العمليات الفردية الأخيرة في القدس والضفة الغربية والتي استهدفت مستوطنين بالأساس، تأثرت إلى حد ما بالمقاومة في غزة، التي قدمت نموذجاً لمواجهة الاحتلال، وإن بإمكانات ضعيفة.

صحيح أن هذه العمليات تأتي ضمن ردود على ممارسات المستوطنين خصوصاً في القدس، حيث لا توجد سلطة فلسطينية تلاحق المقاومين، إلا أن تأثير المقاومة في غزة يظل حاضراً في أذهان الفلسطينيين الذين يعيشون حالة واحدة من الاحتلال والبطش والتكيد بأشكال مختلفة. ومن هنا، فإنه من الصعب تجزيء الحاضنة الفلسطينية في كل الداخل الفلسطيني، وهذا يشكل عامل قوة للفلسطينيين في مواجهة العدو.

6. ومن الأدوار المهمة التي يمكن أن تضطلع بها الحاضنة العربية، هو الضغط باتجاه السماح لأهل قطاع غزة لإعادة إعمار ما تهدم في الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، حيث يظل موضوع إعادة الإعمار ملفاً تساوم به القوى المعادية لمسار المقاومة الفلسطينية لنزع سلاحها.

7. أما في الإطار الدولي، فإن هذه الحاضنة في أوساط الجاليات الفلسطينية والعربية والإسلامية قادرة على التأثير على التعاطي الإعلامي مع القضية، ولكنها في الإطار الرسمي تبقى غير قادرة على التأثير في الموقف السياسي لهذه الدول التي ترتبط بالعلاقة مع "إسرائيل" ضمن إطار التحالف الغربي مع دولة الاحتلال.

Paper

**The Popular Embrace of
the Palestinian Resistance**

Mr. Majid Abu Diyak

